

قصيدة ملحمة العرب

[حكاية المصعود والمبهوط ..]

- 1 -

كان العرب

متناشرين على المصحارى

يعبرون الليل فى ضوء المقر

و مع احتراق المرمل فى وضح النهار

كانوا يغذون الخطى ،

يتلمسون مواطن الآبار ،

والملأ الذى ينمو على وقع المطر

وعليه كانوا يقتلون ويُقتلون ..

ما كان يردعهم حذر!

ويقص شاعرهم مآثر عن صناديد المحروب ،

وكيف كان السيف يجتز الدرقاب ،

ولما يطيش السهم حين يئز

فى صدر العeda ، أو يستقر!

- 2 -

كان العرب

أقوى من المشون الذى ينمو بأطراف الجبال

لكنهم جوّى إلى جملٍ ،

يقدمه زعيم المحن ،

أو ضبٌ يشتم في المتلال!

ولطالما نثروا المديح على عجوزٍ ،

قدمتُ للعابرين المظائمين

كوبًا من الماء المزلال !!

- 3 -

كان العرب

يتفاعلون بمولد الفتيان ،

فرسان المعارك والمرهان

أما الفتاة فكانت العار المجسد ،

والهوان

لَا تستحق سوى المحُفر !

ينثر والدها في مدفناها بكفيّه ،

ويمسح ظله المهزوم .. من فوق المرمال !

- 4 -

كان العرب

يتجمعون ليعبدوا حجرًا وأشجارًا ،

ويقتسمون أصناف المذاق ، والمقامات

وعلى فناء المكعبه المغارء كم شربوا المخمور ،

وعربدوا في كل زاوية ، ودار ..

ماذا وراء الموت ؟ لَا أحدٌ يجيب

فالشمس تطلع كل يومٌ

والليل يسقط كل يومٌ

والذاهبون إلى القبور..

نهايةٌ خرساء ليس لها قرار !!

- 5 -

كان العرب

متربحين على الدرمال ، وضجأةٌ

سمعوا نداءً صافياً ،

من فوق رابية المصفا:

" الله أكبر .. لا إله سواه "

والموت تعقبه حياته

صدّمتهم الكلمات ، لم يتبيّنْ ذوا

أن السماء تخفي ربت

منهم رسولاًً مصطفى..

قد كان يرعى المشاه

والليوم يرعى أمة غفلة ،

لترفع راية الإيمان في كل اتجاه !!

- 6 -

صار العرب

متحكمين على المماليك ، فاتحين

وبقدر ما كانوا رعاةً صالحين

فالمللُك يتبعهم ، وتنفتح المرافق والمحصون

لكنهم عادوا جبابرةٌ

يقاتل بعضُهم بعضاً ، ولا يتورعونْ

أن يسكتوا صوت المآذن ،

يضربوا بالمنجنيقْ

جدران كعبتهم بلا ورع ، ويرتكبونْ

أقسى المجازر في رقاب المسلمين!!

- 7 -

صار العرب

متفرقينْ

متخاذلينْ

وانهد حائط ملكهم ،

فتساقطوا منها الكين..

يبكون سابق مجدهم ،

ويغاتبون المدهر ، حين مشى ليرفع آخرين

كانت سوادهم أشدّ ،

وفى إرادتهم يقين!!

- 8 -

عرف العربْ

أن الكفاح هو المكافح ،

وأن وجه المبدر .. أوله محاق!

وإذا أردت صعود رابية ،

فأحكم حول ركبتك النطاق!

واعمل بكتك ،

ليس في أحلام يقظتك .. انعاتق !

- 9 -

عرف العرب

أن المطريق إلى الحياة هو الحياة ،

وأن موت العقل في موت الشعور

ولكل جائزة .. سباق !

- 10 -

الآن يعترف العرب

أن الموصول إلى المعالى لم يعد سهلاً ،

وأن الذكريات

ليست سوى جثث موات !

لكنهم متددون

يخشون من فتح المذافنة في النهار

ويفضلون الليل أن تبقى ستائره

المليئة بالغبار !

وإذا دعا داعٍ بهم : أن أقدموا ..

رجعوا ،

وداروا في دوائر لا تقرّ من الدوار !

ماذا بهم ؟

كل الشعوب تقدمت ،

وهم على خط السباق محاذرون

يتحسبون ويُحْمِّلُونَ..

خوفاً من المفْوَزِ المُذَىٰ

قد يستحيل إلى انهيار !!